هزيمة الكتائب
والآفاق الجديدة في الأزمة اللبنانية

الكتائب الى هذه النقطة في احد بياناته الشهيرة) ، ويزداد انسحاق الكادحين وتجذر المثقفين ، وتختفي احلام الثروة السريعة وصعود السلم الطبقي لينفتح الباب امام صراع طبقي ضار . ان مغزى الصراع الحالي هو انه صراع على السلطة في لبنان ، ولو اتخذ اشكالا متنوعة وجزئية .

وبالطبع فان هذا التحول العضوي سوف يتخذ ، الى حد ما ، اشكالا طائفية ، وسوف يتعرض للامتيازات الطائفية « المارونية » التي تعتبر الكتائب انها الوصية الاولى عليها بعد رحيل الاستعمار الفرنسي الى غير رجعة . وهذا ما يفسر حالة « الذعر » التي تنطلق منها التعبئة الكتائبية ، وكذلك طابعها الطائفي . وبالطبع ، والى جانب المصالح الحقيقية التي تدافع عنها الرجعية اللبنانية ، فان الاثارة الطائفية والتحريض ضد المقاومة تشكل وسيلة لمنع تنامي الوعي الاجتماعي والوطني على صعيد لبنان عموما ، وفي الاوساط المسيحية بالاخص .

ان هذه المقدمات تنطبق على النظام عموما ، وعلى الطرف الشمعوني فيه ، بمقدار ما تنطبق على حزب الكتائب نفسه . والفرق ان النظام الرسمي مقيد بالاعتبارات العربية وبالخوف من اهتزاز مؤسساته القائمة على اسس طائفية غير راسخة ، في حين فضل شمعون ان يخوض المعركة عسكريا ، فساهم فيها بالميليشيا والسلاح ، في حين تبرأ منها سياسيا حتى لا يحترق في الاتون الذي احرق الكتائب .

واما عن عدم تدخل السلطة في الصراع ، رغم مناشدات الكتائب وجهودها ، فان مثل هذا التدخل كان مستحيلا طالما اعطت الكتائب نفسها طابع الطرف الماروني — المسيحي . لان انحياز الدولة الى جانب طائفة يعني فورا انفجارها ارباً ، وبالتالي بطلان « الفائدة » التي ترجوها الكتائب من تدخلها. وذلك هو التفسير الوحيد !

قوى ثورية جديدة وخط كفاحي جديد :

شكلت هبة المقاومة الفلسطينية وجماهير الاحياء الشعبية اللبنانية ضد مجزرة عن الرمانة انجازا خلاقا ومبدعا يطور اساليب الكفاح الوطني في لبنان، ويؤكد على قيمة وتفوق الاساليب الثورية بينها . ردا على الجريمة القذرة وانتقاما للشهداء، حملت الجماهير السلاح واغلقت الاحياء ، ورفعت المتاريس، واندفعت « عفويا » لتؤدب الكتائب . وكان ذلك هو الجواب السليم ، والمستند عفوا الى ادق الحسابات السياسية .

لماذا ؟ لان الاكتفاء بالاستنكار الكلامي كان سيشجع الرجعية على مواصلة لعبة الاستنزاف غير المحدودة لقوات الثورة الفلسطينية ، ولان مثل هذا الموقف كان سيشبط معنويات الجماهير الوطنية ويفرض عليها جوا من الارهاب الفاشي ، في حين انه كان سيوفر للكتائب (امام جماهيرها) دليلا ساطعا على ان خطها الفاشي الاجرامي خط «عملي» ومخرج ممكن للصراع المحتدم .

ولكن الرد الجماهيري يتضمن حكمة ابعد مدى : لقد قام النظام اللبناني الحالي ، والامتيازات الطائفية المهيمنة فيه ، بحراب القوات الفرنسية المستعمرة . وطوال الفترة من ١٩٢٠ حتى الاربعينات كانت عمليات السحق الدموي المتواصل للجماهير تدعم الصورة السياسية — الاجتماعية التي ورثناها اليوم . ولم تقم القناعة الفكرية والايديولوجية لجماهير مضللة واسعة الا ضمن هذا الاطار العنفي الاستعماري الذي سمح لها بالتفتح والازدهار . ومن هنا يبدو عقم المجابهة « التبشيرية » للامتيازات الطائفية والاجتماعية . فلا مناص من (صراع قوى) فعلي يخلق اطارا ماديا جديدا ، وبتيح تفتح ايديولوجيات وافكار مختلفة . ومثل هذه العملية لن تتم بصورة مسالمة وهادئة ، لان المسالمة لا تعني سوى تجاهل الاساس العنفي للوضع القائم .

وفي هذه النقطة بالذات بدا ان ثمة « تقسيم عمل » (هو في واقع الامر انقسام اجتماعي وسياسي) بين القوى اليسارية النظامية التي خاضت المعركة الاعلامية ضد الكتائب ، والقوى الوطنية الثورية ، شبه المعفوية في الغالب ، التي ساهمت مع المقاومة في سحق الكتائب عسكريا . ولا بد من القول ان مؤتمر الاحزاب والهيئات كان يرتكز موضوعيا الى قاعدة المعارك المسلحة التي خاضها الشارع الوطني، ولكن يصعب القول ان هذا الشارع وجد تمثيله في المؤتمر . وتلك قضية اخرى بالغة الاهمية في سياق نشوء يسار ثوري منظم في لبنان ، لا مجال للتوسع فيها هنا .

دروس واستنتاجات

ابرزت معارك الايام الاربعة التعارض الصارخ بين ثورية المقاومة الفلسطينية وفعاليتها على الصعيد السياسي اللبناني من جهة ، والتخبط الذي ما يزال يحكم سلوكها على صعيد المجابهة مع اسرائيل والامبريالية منذ انفتاح باب الاوهام السلمية بعد حرب تشرين . ففي حين تظل قوى الثورة مجمدة عسكريا في الصراع مع اسرائيل — فالعمليات الجارية لا تعبر على الوزن الحقيقي لقوات الفدائيين — فان هذه القوى نفسها هي موضوعيا وعمليا السقف الذي يتم في ظله النضال الوطني والاجتماعي للجماهير اللبنانية . وهذا يفسر كيف ان الشارع اللبناني اكثر انتباها الى ايجابيات الثورة وعظمتها ، في حين يتململ المخيم الفلسطيني تحت وطأة الشعور ان الصراع مع العدو الاسرائيلي يفتقد الى الكثير من الوضوح والفعالية .

وبالمقابل عمقت المعارك الاخيرة الازمة الاجتماعية والسياسية للنظام اللبناني على اكثر من صعيد . لقد عجز النظام الرسمي عن الوقوف الى جانب احدى فصائله الاكثر ولاء ،وفضل ان يتركها بمفردها حتى لا تجره الى الهاوية ، وفضلت قوى يمينية اخرى ان لا تخوض المعركة لعلمها انه يستحيل كسبها ، سياسيا وعسكريا . وعدا ان ذلك كرس عزلة الكتائب وافتقادها للتغطية السياسية اللازمة ، فانه سوف يخلق صعوبات اكبر امام توحيد قوى النظام في المعارك المقبلة .

وهذه النقطة ، الى جانب الهزيمة العسكرية للكتائب ، تفسح المجال امام اتساع التململات في اوساط الجماهير المسيحية ولو على نطاق محدود . فليس بوسع الكتائب ان تهزم القوى الطائفية الاخرى التي لم تقف معها علنا ، وهذا الواقع يتعارض مع محاولتها توحيد القوى اليمينية خلف خطها الفاشي. ثم ان سقوط « هيبة » الميليشيا سوف يرفع من معنويات الفئات المسيحية المعتدلة او الوطنية ، ويعطيها المزيد من الجرأة والصراحة ، اننا لا نملك ان نتنبأ عن مدى هذا التحول في اوساط المسيحيين. كما اننا لا نتجاهل ان قسما من الجماهير المسيحية سوف يزداد التفافا حول الكتائب . ولكن بوسعنا التاكيد ان هذه المعركة الاخيرة هي الاكثر مدعاة للتفاؤل في هذا السياق . وسوف يكون الكسب الاهم على هذا الصعيد هو اتساع التفكير « الواقعي » في صفوف الجماهير المضللة : التفكير القائم على اسقاط وهم امكانية تصفية المقاومة والجماهير الوطنية ، وترسيخ فكرة التعايش .

ويبقى الصعيد الذاتي « الجانب التنظيمي و « التنظيري » في جبهة القوى الوطنية المتحالفة مع المقاومة . ان القوى (اللبنانية) التي تحملت ثقل المواجهة تشكلت من مجموعات الشباب الوطنيين والتقدميين ومن كادحي الاحياء الشعبية . والقسم الاعظم من هؤلاء لا ينتمي الى الاحزاب اليسارية ، وانما هو يقيم علاقة تنظيمية غير متبلورة مع المقاومة الفلسطينية ، الى جانب انه يفتقد الى الخط السياسي والنظري الذي يحوله الى قوة دائمة قادرة على الفعل في مختلف الظروف — الحارة والباردة . ولا يكفي القول ان ذلك ثغرة اساسية في هذا المستوى المترفع للمجابهة . فالواقع اننا نشهد نشوء قوى جديدة تبلور وجودها ووعيها عبر الصراع المتواصل . والمهمة الرئيسية الان ، في رأينا ، هي بلورة الخط السياسي الذي يتيح لهذه القوى شبه العفوية ان تتطور سياسيا وتنظيميا ، وان ترفع مستوى التلاحم والتوحيد فيما بينها ، لتحول دون استغلال نتائج النصر الذي ساهمت في صنعه من قبل قوى منخرطة في النظام ، او تطمح للانخراط فيه .

●●

بين أقوال الكتائب وممارساتها
تناقضات تكشف عن إفلاسها وعزلتها !

بعيدا عن الانفعال وردود الفعل الطبيعية والمشروعة دعونا نناقش قادة الكتائب بهدوء و(روية وضبط النفس) على تعبير عضو المكتب السياسي ادمون رزق ، ولنر بعد ذلك هل يمكننا ان نكرر القول من فمك ادينك يا مدعية ام لا ؟

يقول الكتائبي ادمون رزق :

(ان هذا الحادث يدل دلالة اكيدة على ما كان يخامرنا من شكوك حول وجود ايد اثيمة لا تخدم في النتيجة سوى العدو المشترك (!) . وانطلاقا من موقع المسؤولية في حزب الكتائب اقول ان آخر ما يمكن ان تفكر به الكتائب او اي كتائبي هو التصادم مع الاخوة الفلسطينيين وقد برهن الحزب على انه يريد اقامة اوثق العلاقات مع المقاومة التي تربطه بقادتها وفصائلها اواصر من الصداقة الشخصية والتفاهم المبني على قناعات مشتركة) .

لنقف امام قول هذا الكتائبي .. المسؤول .. ، ونرى مدى التناقض فيها :

اولا : اننا نتفق مع رزق فيما يدل عليه الحادث ، اذ ليس ممكنا ان يقدم وطني يشعر بانتمائه الى لبنان ، على اقتراف جريمة كهذه الجريمة ، الامر الذي يجعلنا نؤكد على ان الايدي التي تلطخت بدماء الابرياء بمنطقة (عين الرمانة) ايد اثيمة ومجرمة وعميلة !

ثانيا : ان اتفاقنا مع المسؤول الكتائبي على ان العناصر التي ارتكبت جريمة (عين الرمانة) هي عناصر اثيمة ، يحتم علينا ان نتوجه اليه والى غيره ممن يتحملون مسؤولية تربية عناصر الكتائب واعدادها ، بالاسئلة التالية :

١ — هل ان العناصر الكتائبية التي تقوم باعمال القتل وسفك الدماء ، تتصرف على هواها دون توجيه وايعاز من قيادة الكتائب ، اي هل انها عناصر منفردة وخارجة عن ارادة حزب الكتائب ام انها عناصر كتائبية منضبطة وملتزمة ، تنفذ قرارات القيادة ثم تناقش اذا جاز لها ان تناقش في حزب تؤكد ممارساته طبيعته الرجعية الفاشية ؟

ثالثا : يمكن ان يحاكم سلوك هذه العناصر وفقا لها . اذ لا يمكن ان تكون منضبطة وسائبة في آن معا ولذلك فاننا نترك الخيار للسيد رزق وللزمرة التي ينتسب اليها ، فاذا نفت عدم التزام هذه العناصر انضباطها فاننا نسأل كيف يسمح لها بتحمل مسؤولية العمل باسم الكتائب ، ولعل مقتل المسؤول عن منظمة الكتائب في منطقة (عين الرمانة) دليل واضح على انه كان يقود عمليات القتل والاغتيال التي تعرض لها الابرياء اللبنانيون والفلسطينيون .

ولو تجاوزنا هذه الحجة وقبلنا ان بذر رماد التضليل في عيوننا ، وقبلنا بمثل هذا الادعاء فاننا نتساءل : ما هو موقف قيادة الكتائب من هذه العناصر المسلحة المنتشرة في العديد من المناطق اللبنانية ؟ وان اختارت زمرة الكتائب مضطرة الاعتراف بهوية هذه العناصر الحزبية الكتائبية ، فما هو الاجراء الحزبي الذي اتخذته ؟.

ان الكتائب حين تعترف بجريمة هذه العناصر واثمها . فانما تعترف تحت ضغط الامر الواقع ، بطبيعتها الفاشية وميلها الموضوعي نحو الاجرام ، الامر الذي لا يجعل منها قوة عابثة مستهترة بارواح الناس وسلامتهم ، فحسب ، وانما يجعلها قوة معيقة لتقدم هذا البلد وتطوره . مما يحتم على كافة القوى الخيرة الوطنية التي يهمها امن شعبها وسلامته ان تتنادى لوضع حد لهذه الزمرة الفاشية العميلة .

٢ — هل ان الاعمال التي تقوم بها هذه (الايدي الاثيمة) تستهدف (ضرب التعايش الاخوي بين الفلسطينيين واللبنانيين وافتعال فتنة ..) ام انها افعال تتجاوز التعايش بين الفلسطينيين واللبنانيين ، تجاوزا يعرض لبنان الى الحرب الاهلية والاقتتال بين ابنائه ؟

واذا كانت جريمة (عين الرمانة) فعل مفتعل ، هدفه اثارة الفتن ، باعتراف المسؤول الكتائبي نفسه فما هو موقف الكتائب من هؤلاء الذين لا يتطرق الشك الى « لا وطنيتهم ». ان يتخذوا عقابا صارما بحق هؤلاء المجرمين الذين يحملون هوية حزب الكتائب ؟ ثم بماذا يفسر السيد رزق تكرار مثل هذه الجرائم ، فان لم يكن تفسيرها المنطقي انها تدل على خطة اجرامية تقوم الكتائب بتنفيذها ، خطوة اثر خطوة (جريمة الدكوانة ، التحرشات هنا وهناك . بقصد استفزاز القوى الاخرى ، المظاهرات والنزول الى الشارع لحماية المجرمين الذين تلطخت ايديهم بدماء معروف سعد ورفاقه الوطنيين الذين سقطوا برصاص الغدر والعمالة ، جريمة عين الرمانة ...الخ) .. نقول ان لم يكن الامر على هذه الشاكلة ، فلا بد اذن . ان تكون الايدي الاثيمة تسيطر على العديد من منظمات الكتائب وفروعها . اذ ان تكرار هذه الحوادث في اكثر من منطقة يجعل منها سلسلة مترابطة ، لا يمكن اعتبارها مجرد تصرفات فردية ، طائشة يقوم بها هذا الفرد او ذاك . وانما يدل تكرارها على ترابطها ، فاذا انكرت قيادة الكتائب علمها بها واستنكرتها وادانت فاعليها بالاثم والجريمة فساعتها يصبح على السيد رزق وامثاله ممن يتحملون مسؤولية قيادة الكتائب ان يختاروا واحدا من اثنين : اما ان يعاقبوا هذه العناصر ويضعوا حدا لاجرامها . واما ان يتركوا الكتائب تعبيرا عن عدم موافقتهم ، لكي ينسجموا مع منطقهم ، والا فانهم لا يفعلون اكثر من الاعتراف بواقع حالهم . ويكشفون عن افلاسهم وعزلتهم !

٣ — من هو العدو المشترك الذي يتحدث عنه رزق اهو الامبريالية التي لا تعرف الكتائب بصفة مثل صفة ارتباطها بها وتبعيتها بها ويتضح ذلك من خلال تصريحاتهم وممارستهم ، ام هي اسرائيل التي لم تحرك الكتائب عصاباتها لصد عدوانها المتكرر على لبنان وشعبه بل تحركهم لضرب الوطنيين بصورة دائمة . كما ان ما تقوم به عصابات الكتائب في لبنان تعجز اسرائيل عن القيام به .

اذا كانت هذه هي طبيعتهم فمن هو العدو المشترك الذي يتكلمون عنه ، — الذي تخدمه هذه الاعمال الاجرامية — ومع من يتشاركون بعد انكشاف حقيقتهم الرجعية العميلة ومن هم شركاؤهم بالعداء للوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين اليست الامبريالية والرجعية واسرائيل ؟

ان الشعبين اللبناني والفلسطيني بريئان براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، من مثل هذه الشراكة التي يريد رزق ان يتخذ منها مظلة لتبرئة ساحة عصاباته من جرائمها !

ثالثا : اذا كان ادعاء السيد رزق بان الكتائب اخر من يفكر بالتصادم مع الشعب الفلسطيني صحيحا . فاننا نطالبه بان يجيب على الاسئلة التالية :

١ — كيف يمكن ان يوفق السيد رزق ، بين ادعاءاته هذه وبين مسلسل الحوادث الدامية التي استهدفت الشعب الفلسطيني ؟ وما هو تفسيره لحوادث امس (الذكوانة) وحوادث اليوم (عين الرمانة)؟ هل حدثت صدفة ؟ الم يكن ابطالها مسؤولين في حزب الكتائب ؟

٢ — كيف يمكن الفصل بين هذه الحوادث وتصريحات رئيسه السيد بيار الجميل المتكررة بمناسبة وغير مناسبة عن « ازدواجية السلطة » وعن « هيبة الدولة » الضائعة بسبب هذه الازدواجية ؟ اليست هذه التصريحات هي بمثابة تحريض لعناصر الكتائب على التصادم مع الفلسطينيين ؟

٣ — لماذا تكلف الكتائب نفسها بتحمل اعباء اعداد مثل هذه العصابات وتدريبها ، وتسليحها ؟ امن اجل حماية لبنان ؟ وما هي اذن مهمة الجيش والبوليس ومختلف اجهزة الدولة ؟ ثم من اين يتم تمويل هذه العصابات ؟ ومن هي الجهات التي تمنح الكتائب المبالغ الطائلة والسلاح الخفيف والثقيل الذي بحوزة تلك العصابات .

٤ — وفضلا عن كل ما تقدم فان النعرة الطائفية التي تتميز بها الكتائب عن تميزها من الاحزاب والمنظمات ؟ اليست اثارة مثل هذه النعرات امر من شانه ان يغرق بالدماء ابناء الشعب اللبناني والشعب الفلسطيني الذي يقيم منذ اكثر من ربع قرن في لبنان ؟. لماذا تعمد الكتائب الى بث النعرات الطائفية واشاعتها . اذا كانت مخلصة للبنان ولا تريد التصادم مع الشعب الفلسطيني ؟

●●